القرطبي وموقفه من الخوارج

الأستاذ الدكتور بهجة كامل عبد اللطيف التكريتي*

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المالكي المذهب. ولد ونشأ في قرطبة وعندما بلغ من العمر حدا يسمح له بتلقي العلم، تعلم العربية والشعر الى جانب تعلمه القرآن. وهذه الطريقة في التعليم انفرد بها أهل الأندلس وهم في هذا يخالفون سائر الأمصار الإسلامية الأخرى حيث يتعلم الصبيان القرآن وحده أولا دون سائر العلوم[١]. كان حريصا على مواصلة تعليمه وترقى فيه متنقلا بين حلقات العلم في مسقط رأسه قرطبة وعندما استوعب ما في مدينته من منابع العلم والمعرفة غادرها وكانت حلقات العلم منتشرة في جميع مدن الأندلس وكانت المساجد أماكن هذه الحلقات. تتلمذ أبو عبد الله على يد كبار علماء عصره واستمر تعلمه وتعليمه الى أن قدم الى مصر وهو على درجة كبيرة من الثقافة والعلم[٢]. ويؤكد محمد زلط القصيبي مجيء القرطبي الى الإسكندرية قبل عام ٦٤٨هـ[٣]. وأثناء مقامه بالإسكندرية تلقى ألوانا من الثقافة الإسلامية على يد عدد من الشيوخ الذين تخرجوا من مدرسة الطرطوشي ت ٥٢٠هـ والحافظ السلفي ت ٥٧٦ هـ وابن عوف ت ٥٨١ هـ[٤]. استقر في الإسكندرية والقاهرة ردحا من الزمن خرج بعدها الى مدينة أبي الخصيب[٥]، واستقر فيها الى أن وافاه الأجل المحتوم في ليلة الاثنين التاسع عشر من شوال سنة ٦٧١هـ[٦].

وقد أثنى المؤرخون على القرطبي وامتدحوه من الناحية الأخلاقية وعلى سبيل المثال وصفه الداودي ت ٩٤٥هـ : [كان من عباد الله الصالحين والعلماء (العارفين) الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما تعنيهم من أمور الآخرة،

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي - رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب - جامعة بغداد.

أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف][٧]. ووصفه ابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ بقوله : [وكان إماما علما من الغواصين على معاني الحديث حسن التصنيف جيد النقل][٨]. وكان زاهدا وصف بأنه طارح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية[٩].

يقول القرطبي عن تفسيره في المقدمة : [وبعد فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذي استقل بالسُنة والفرض، ونزل به أمين السماء الى أمين الأرض، رأيت أن اشتغل به مدى عمري، استفرغ فيه مُنيتي، بأن اكتب فيه تعليقا وجيزا، يتضمن نُكتا من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعا بين معانيهما، ومبينا ما أشكل منهما، بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف][١٠].

وأضاف القرطبي في تعريفه لتفسيره قائلا : [وشرطي في هذا الكتاب : إضافة الأقوال الى قائليها، والأحاديث الى مصنفيها][١١].

ويقول محمد حسين الذهبي معلقا على مقدمة القرطبي رحمه الله : [والذي يقرأ في هذا التفسير يجد إن القرطبي رحمه الله قد وفى بما شرط على نفسه في هذا التفسير فهو يعرض لذكر أسباب النزول والقراءات والإعراب وبيّن الغريب من ألفاظ القرآن ويحتكم كثيرا الى اللغة ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب ويرد على المعتزلة والقدرية والروافض والفلاسفة وغلاة المتصوفة. ولم يسقط القصص بالمرة....][١٢] ويضيف قائلا : إن القرطبي في تفسيره هذا [حرفي بحثه نزيه في نقده عفّ في مناقشته وجدله، ملم بالتفسير من جميع نواحيه بارع في كل من استطرد اليه وتكلم فيه][١٣] ووصفه القصيبي بقوله :[عندما يطالع القارئ تفسير القرطبي يحس انه أمام موسوعة عظيمة حوت كثيرا من العلوم][١٤].

تناول القرطبي في تفسيره الفرق الإسلامية وغير الإسلامية وبيّن أحكام كل واحدة منها خلال تفسيره للآيات القرآنية ذات العلاقة واعتمد في تصنيف الفرق الإسلامية على ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م الذي استند بدوره على الحديث النبوي الشريف [تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين

والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة] فجعل ابن الجوزي الفرق الرئيسية ست فرق هي : الحرورية والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة والجبرية وانقسمت كل واحدة من هؤلاء الى اثنتي عشرة فصارت اثنتين وسبعين فرقة[١٥].

وقد وقع اختياري على فرقة الخوارج لأنها من الفرق الإسلامية التي نشأت بسبب الخلافات السياسية ولها جذورها التاريخية التي تعود الى أيام الرسول ﷺ[١٦] وإنها لعبت دورا سياسيا وفكريا وعسكريا مؤثرا في العصور الإسلامية الأولى وفي مختلف أقاليم الدولة الإسلامية، واستمر تأثير البعض من فرقها كالاباضية الى الوقت الحاضر خاصة في المغرب العربي وسلطنة عمان[١٧].

ينطلق الباحث في عرضه لموقف القرطبي من الخوارج من عدة مسلمات تكونت لديه من خلال استقصاء وتتبع تفسير الآيات القرآنية التي أشار من خلالها القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) الى آراء الخوارج بصورة عامة أو عدد من فرقها بصورة خاصة.

المسلمة الأولى إن القرطبي اعتبر الحرورية هم أصل الخوارج جميعا[١٨]. والثانية إن الحرورية (أي بمعنى الخوارج) هي إحدى الفرق الضالة[١٩]. والثالثة إن القرطبي لم يشر في حديثه عن فرق الحرورية الا الى جانب واحد من آراء ومواقف كل فرقة[٢٠]. والرابعة إن القرطبي في حديثه عن الفرق من خلال المواقف المتباينة في تفسير عدد من الآيات القرآنية أشار الى الخوارج اكثر مما أشار الى الحرورية[٢١].

خص القرطبي بالذكر اثنتي عشرة فرقة من الحرورية وهو نفس التقسيم الذي سار عليه ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠ وهم[٢٢] :

١- الازرقية - قالوا : لا نعلم أحدا مؤمنا وكفّروا أهل القِبلة إلاّ من دان بقولهم[٢٣].

٢- الاباضية - قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ومن أعرض عنه فهو منافق[٢٤].

٣- الثعلبية - قالوا : إن الله ﷻ لم يقض ولم يُقدّر[٢٥].

٤- الخازمية - قالوا : لا ندري ما الإيمان، والخلق كلهم معذورون[٢٦].

٥- الخلفية - زعموا : إن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى كفر[٢٧].

٦- الكوزية ((الكورية)) - قالوا : ليس لأحد أن يمسّ أحدا لأنه لا يعرف الطاهر من النجس ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل[٢٨].

٧- الكنزية - قالوا : لا يسع أحدا أن يُعطى ماله أحدا لأنه ربما لم يكن مستحقا بل يكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق[٢٩].

٨- الشمراخية - قالوا : لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين[٣٠].

٩- الأخنسية - قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر[٣١].

١٠- الحكمية - قالوا : مَن حاكم الى مخلوق فهو كافر[٣٢].

١١- المعتزلة - قالوا : اشتبه علينا أمر علي ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين[٣٣].

١٢- الميمونية - قالوا : لا إمام الا برضا أهل محبتنا[٣٤].

اعتمد القرطبي في بيان موقف الخوارج كفرقة أو موقف إحدى فرقها على الأحاديث النبوية وعلى رواة ثقات كأم المؤمنين عائشة ت ٥٨هـ/٦٧٨م وعبد الله بن عباس ت ٦٨هـ/٦٨٧م، وأبي هريرة ت حوالي ٥٨هـ/٦٧٨م. وسعيد بن جبير ت ٩٥هـ/٧١٤م، وعبد الله بن مسعود ت ٣٢هـ/٦٥٣م، وأبي ذر الغفاري ت٣٢هـ/٦٥٣م، ومصعب بن الزبير ت٧١هـ/٦٩٠م، وهشام ابن عروه ت١٤٦هـ/٧٦٣م. ونقل عن كتب الصحاح كصحيحي البخاري ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م، ومسلم ت ٢٦١هـ/٨٧٥م وسنن الترمذي ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م والدارقطني ت٣٨٥/٩٩٥م وأخذ عن معاصريه كمحمد بن احمد القسطلاني ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م ولم يغفل القرطبي وهو المعروف بإتباعه للمذهب المالكي الأخذ من موطأ الإمام مالك بن انس ت ١٧٩هـ/٧٩٥ م.

يقسم البحث الى ثلاثة أقسام وهي :

١- المسلمون والخوارج وتناوله في الآيات الآتية :

أ- **قتال المسلمين للخوارج :** ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[٣٥] يقول القرطبي : [ليس للمرتدين الا القتل والتوبة وكذلك أهل الزيغ والضلال ليس لهم الا السيف والتوبة. ومن أسر الاعتقاد بالباطل ثم ظهر عليه فهو كافر كالزنديق يُقتل ولا يُستتاب. وأما الخوارج على أئمة أهل العدل فيجب قتالهم حتى يرجعوا الى الحق][٣٦].

ب- **جواز مهاجمة المسلم لتجمع من الخوارج :** ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾[٣٧] وفيه مما يقول القرطبي ثلاث مسائل فالمسألة الثالثة اختلف العلماء في اقتحام الرجل في الحرب وحمله على العدو وحده، فقال عدد منهم لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم اذا كان فيه قوّة وكان لله بنية خالصة[٣٨]، فان لم تكن فيه قوة فذلك من التهلكة. وقيل : اذا طلب الشهادة وخلصت النية فليحمل، لان مقصوده واحد منهم، وذلك يبين في قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾[٣٩]. وقال ابن خويز مقداد : [فأما أن يحمل الرجل على مائة أو على حملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج فلذلك حالتان ان علم وغلب على ظنه ان سيقتل من حمل عليه وينجو فحسن، وكذلك لو علم وغلب على ظنه ان يُقتل ولكن سينكى نكاية أو سيبلى أو يؤثر أثرا ينتفع به المسلمون فجائز أيضا][٤٠].

ج- **أهل الزيغ :** ورد ذلك في تفسير الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله...﴾[٤١] فقد أخذ القرطبي يقول قتاده

ت١١٨هـ/٧٣٦م[٤٢] الذي نصه [ان لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج فلا ادري من هم][٤٣].

د- **أصحاب الوجوه المسودة والمطرودين من الجنة** : ورد في تفسير الآيتين ﴿يوم تبيض وجوه وتسود فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾[٤٤]. وفيه ثلاث مسائل والمسألة الثانية اختلف العلماء في التعيين فقال ابن عباس ت٦٨هـ / ٦٨٧م : [تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة...][٤٥] فمن بدّل أو غيّر أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه المسودّى الوجوه، وأشدهم طردا وأبعادا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالتها والمعتزلة على أصناف أهدافها[٤٦].

هـ - **عدم الركون الى الخوارج** : في تفسير الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾[٤٧]. قال القرطبي : [فيه ست مسائل والمسألة الثانية إن الله ﷻ نهى المؤمنين أن يتخذوا من الكفار واليهود أهل الأهواء دُخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون اليهم أمورهم. ويقال: كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه، قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي][٤٨]

وقد روي عن أبي أمامة ت ٨١/٧٠٠م[٤٩] عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة...﴾ قال: [هم الخوارج][٥٠].

و- قتيل الخوارج : في تفسير الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[٥١]. وقال القرطبي فيه ثمانية مسائل والرابعة منها هو إجماع المسلمين على إن الشهيد اذا حُمل حيّا ولم يحت في المعترك وعاش وأكل فأنه يُصلى عليه، كما قد صُنع بعمر بن الخطاب ﷺ واختلفوا فيمن قتل مظلوما كقتيل الخوارج وقُطّاع الطريق وشبه ذلك، فقال أبو حنيفة ت١٥٠هـ/٧٦٨م وسفيان الثوري ت١٦١هـ/٧٧٩ كل من قتل مظلوما لم يُغسل ولكن يُصلى عليه وعلى كل شهيد وهو قول سائر العراق[٥٢].

ز- أصل الخوارج : في تفسير الآية ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون...﴾[٥٣] قال القرطبي: [وصف الله قوما من المنافقين بأنهم عابوا النبي ﷺ في تفريق الصدقات، وزعموا انهم فقراء ليعطيهم]. قال أبو سعيد الخدري ت ٧٤هـ/٦٩٣[٥٤] : [بينما كان رسول الله النبي ﷺ يُقسم مالا اذ جاءه حرقوص بن زهير ت ٣٧هـ/٦٥٧م[٥٥] أصل الخوارج ويقال له ذو الخويصرة التميمي، فقال : اعدل يا رسول الله. فقال : ويلك مَنْ يعدل اذا لم أعدل][٥٦]. فنزلت الآية... وعندها قال عمر بن الخطاب ﷺ : [دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال النبي ﷺ : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يَمرقون منه كما يَمرقُ السهم من الرميّة][٥٧].

ح- مذهب الاباضية : في تفسير الآية ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾[٥٨] يقول القرطبي : [كان أبو الجوزاء الذي قُتل عام ٨٣هـ/٧٠٢م اذا تلا هذه الآية قال: هم الاباضية][٥٩].

٢- أحكام اعتقادية وتشمل :

أ- تبيين الكتاب بالسنة :

روى أبو داود عن المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد ت ٨٧هـ/٧٠٦م[٦٠] عن رسول الله ﷺ انه قال : [ألا واني قد أوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه الا لا يحل لكم الحمّار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه][٦١].

قال الخطابي ت حوالي ٣٨٨هـ /٩٩٨م[٦٢] : قوله [أوتيت الكتاب ومثله معه يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما ان معناه انه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو، مثل ما أعطى من الظاهر المتلو. والثاني انه أوتى الكتاب وحيا يُتلى، وأوتى من البيان مثله، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن. وقوله : يوشك رجل شبعان الحديث يحذّر بهذا القول من مخالفة السنن التي سنّها مما ليس له في القرآن ذكر على ما ذهبت اليه الخوارج والروافض، فأنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب، قال : فتحيّروا وضلّوا...][٦٣].

ب- الإمامة :

في تفسير الآية ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[٦٤] وفيها على حد قول القرطبي سبع عشرة مسألة والسابعة منها تدور حول الاختلاف فيما يكون فيه الإمام إماما وذلك ثلاث طرق أحدهما النص. وقال به أيضا الحنابلة وجماعة من أصحاب الحديث والحسن البصري ت ١١٠هـ/٧٢٨م وبكر ابن أخت عبد الواحد وأصحابه وطائفة من الخوارج وذلك إن النبي ﷺ نصّ على أبي بكر رضي الله عنه بالإشارة وأبو بكر على عمر رضي الله عنه، فإذا نص المستخلف على واحد معين كما

فعل الصديق أو على جماعة كما فعل عمر وهو الطريق الثاني التخيير اليهم في تعيين واحد منهم كما فعل الصحابة ﷺ في تعيين عثمان بن عفان ﷺ[٦٥].

ج- طاعة الإمام :

في تفسير الآية ﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[٦٦]. قال القرطبي : [والذي عليه الأكثر من العلماء إن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء وانطلاق أيدي السفهاء، وشنّ الغارات على المسلمين، والفساد في الأرض. والأول مذهب طائفة من المعتزلة، وهو مذهب الخوارج، فأعلمه][٦٧].

د- الإسلام والإيمان :

في تفسير الآية ﴿إذ قال له ربّه أسلم قال أسلمت لربّ العالمين﴾[٦٨] الإسلام في كلام العرب : الخضوع والانقياد للمستسلم وليس كلُ إسلام إيمانا وكل إيمان إسلاما، لان من آمن بالله فقد استسلم وانقاد لله. وليس كل من أسلم آمن بالله، لأنه قد يتكلم فزعا من السيف، ولا يكون ذلك إيمانا، خلافا للقدرية[٦٩] والخوارج حيث قالوا : [إن الإسلام هو الإيمان فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن، لقوله إن الدين عند الله الإسلام[٧٠] فدل على إن الإسلام هو الدين وان من ليس بمسلم فليس بمؤمن][٧١].

هـ - غفران الذنب :

في تفسير الآية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٧٢].

قال القرطبي : رد على الخوارج، حيث زعموا إن مرتكب الكبيرة كافر[٧٣].

و- لا ينفع الإيمان عند ظهور علامات القيامة :

في تفسير الآية ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون﴾[٧٤]. بيّن القرطبي انه في صحيح مسلم عن أبي

هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : [ثلاث إذا خَرجنَ لا ينفع نفسا أيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها والدّجال ودآبة الأرض][٧٥]. وروى عن الرسول ﷺ : [إن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يُغْلق حتى تطلع الشمس من نحوه][٧٦] قال القرطبي : كذّب بهذا كله الخوارج والمعتزلة[٧٧].

ز- الشفاعة :

في تفسير الآية ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربُّك مقاما محمودا﴾[٧٨] يقول القرطبي : [وفيها ست مسائل وفي الرابعة منها يدور الحديث انه إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الى نبينا محمد ﷺ يتشفع هذه الشفاعة لأهل الموقف لتعجيل حسابهم، ويراحوا من هول موقفهم...][٧٩]. وقال القاضي أبو الفضل عياض ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م : [شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات : العامة والثانية في إدخال قوم الجنة دون حساب. الثالثة في قوم من موحدي أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء أن يشفع يدخلون الجنة. وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة، فمنعتها على أصولهم الفاسدة، وهي الاستحقاق العقلي [الى أن ينال كل حقه دون شفاعة كما يقتضي منطق العقل] المبني على التحسين والتقبيح[٨٠].

ح- التقليد ليس طريقا للعلم :

في تفسير الآية ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾[٨١]. قال القرطبي فيه سبع مسائل والخامسة مثل ان التقليد ليس طريقا للعلم ولا مؤصلا له، لا في الأصول ولا في الفروع، وهو قول جمهور العقلاء، خلافا لما يُحكى عن جُهال الحشوية والثعلبية[٨٢] من انه طريق الى معرفة الحق وان ذلك هو الواجب وان النظر والبحث حرام والاجتماع عليهم في كتب الأصول[٨٣].

٣- أحكام عملية وتشمل :-

أ- صلاة الظهر : في تفسير الآية ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير﴾[٨٤]. يذكر القرطبي إن في هذه الآية أربع مسائل. فاستبقوا الخيرات الى الخيرات وخير الأعمال الصلاة في أول وقتها. وكان الإمام مالك ابن انس ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م يكره أن يصلي الظهر عند الزوال ولكن بعد ذلك ويقول : تلك صلاة الخوارج[٨٥]. وبعد التحري عن هذا القول في كتاب الموطأ لم نجد إشارة في باب أوقات الصلاة الى الخوارج على الرغم من وجود باب خاص للنهي عن صلاة الهاجرة، ذكر فيه ثلاثة أحاديث تنهي عن الصلاة بالهاجرة الأول بروآية عطاء بن بيسار ت ١٠٣هـ/٧٢٢م والثاني والثالث بروآية أبو هريرة ت ٥٨هـ/ ٦٧٨م[٨٦].

ب- صلاة الحائض : في تفسير الآية ﴿ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[٨٧]. وفي المحيض أربع مسائل، عن عائشة زوج النبي ﷺ إنها قالت : قالت فاطمة بنت أبي حُبيش يا رسول الله اني لا أطهرُ ((أي لا ينقطع عنها الدم بالرغم من تجاوز فترة الحيض)) أما أفأدَعُ الصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ ((إنما ذلك عِرقٌ وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة فإذا ذهب قَدْرُها فاغسلي وَصلي))[٨٨]. ويعلق القرطبي على هذا بقوله [وفي هذا الحديث مع صحته وقلة ألفاظه ما يفسر لك أحكام الحائض والمستحاضة وهو اصح ما روى في هذا الباب] وهو يرد ما روي عن عقبة بن عامر ت ٥٨هـ/٦٧٨م، ومكحول الشامي ت ١١٢هـ/٧٣٠م إن الحائض تغتسل وتتوضأ عند كل وقت صلاة، وتستقبل القبلة ذاكرة الله ﷻ جالسة. وفيه إن الحائض لا تُصلي وهو إجماع من كافة العلماء إلا طوائف من الخوارج يرون على الحائض الصلاة[٨٩].

ج- **الزواج بين الأختين** : في تفسير الآية ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم...﴾[٩٠] وفيه أربع عشرة مسألة... قال القرطبي : [أجاز الخوارج الجمع بين الأختين وبين المرأة وعمتها وخالتها][٩١]. ويعلق على موقفهم هذا بقوله [ولا يُعتد بخلافهم لأنهم مَرَقوا من الدين وخرجوا منه ولأنهم مخالفون للسنة الثابتة][٩٢].

د- **المسح على الخفين** : في تفسير الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين...﴾[٩٣] وفيه على حد قول القرطبي اثنتان وثلاثون مسألة. والمسألة العشرين تتعلق بدلالة الآية أيضا على المسح على الخفين[٩٤]، ولمالك في ذلك ثلاث روايات[٩٥] الإنكار مطلقا كما يقوله الخوارج، ويعلق القرطبي على هذا الموقف قائلا : [وهذه الروآية منكرة وليست بصحيحة][٩٦].

هـ- **قطع يد السارق** : في تفسير الآية ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾[٩٧]. وقد مال الخوارج حسب رأي القرطبي الى إن اليد تقطع في كل ما له قيمة[٩٨] وان لم يبلغ نصاب السرقة الذي يجب فيه قطع اليد[٩٩].

و- **حكم المرتشي** : في تفسير الآية ﴿...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[١٠٠] ذكر القرطبي في روآية أرجعها الى القشيري محمد بن سعيد بن عبد الرحمن ت ١١٠هـ/٩٤٥م [تتضمن ان مذهب الخوارج يدور حول من ارتشى وحكم بغير حكم الله فهو كافر، وعُزيَ هذا الى الحسن البصري ت ٢١١٠هـ/٧٢٨م والسُدي اسماعيل بن عبد الرحمن ت ١٢٨هـ/٧٤٦م][١٠١].

إضافة الى ما ذكر أعلاه من أحكام عملية يمكن أن تدخل تحت هذا العنوان ما نسب الى نافع بن الأزرق بن قيس رأس فرقة الازارقة ت ٦٥هـ/٦٨٥م[١٠٢] من

تساؤلات قدمها الى عبد الله بن عباس رضي الله عنه حول ما تشابه من الآيات القرآنية. روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس[١٠٣] اني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ قال : ما هي ؟ قال ﴿فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾[١٠٤]. وقال ﴿واقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾[١٠٥]. وقال ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾[١٠٦]. وقال ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾[١٠٧]. فقد كتموا في هذه الآية. وفي النازعات ﴿أم السماء بناها... الى قوله : دحاها﴾[١٠٨] فما بعد فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال : ﴿أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين.. الى : طائعين﴾[١٠٩]. فذكر في هذا خلق الأرض قبل خلق السماء. وقال : ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾[١١٠] ﴿وكان الله عزيزا حكيما﴾[١١١] ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ فكأنه كان ثم مضى. فقال ابن عباس : ﴿فلا انساب بينهم في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله، فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة اقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾. وأما قوله: ﴿ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا﴾ فان الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول : لم نكن مشركين ؟ فختم الله على أفواههم فتنطق جوارحهم بأعمالهم، فعند ذلك عرف إن الله لا يكتم حديثا، وعنده يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين. وخلق الله الأرض في يومين، ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سماوات في يومين، ثم دحا الأرض أي بسطها فأخرج منها الماء والمرعى وخلق فيها الجبال والأشجار والأحكام وما بينها في يومين آخرين، فذلك قوله ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فخلقت الأرض وما فيها في أربعة أيام وخلقت السماء في يومين. وقوله ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ يعني نفسه ذلك أي لم يزل ولا يزال كذلك، فان الله لم يرد شيئا الا أصاب به الذي أراد ويحك أفلا يختلف عليك القرآن، فان كلا من عند الله[١١٣].

نلاحظ مما تقدم ان القرطبي قد انزل الخوارج في بعض النصوص منزلة اللصوص وقطاع الطرق والمبتدعة عند جمعه إياهم عليهم بحكم واحد. كما نعتهم بالمنافقين وان القرآن لا يتجاوز حناجرهم وأنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية كما نص على ذلك الحديث النبوي الشريف [انه سيكون من ضِئْضِئِ[١١٤] هذا قومٌ يمرقون من الدين كما يمرق السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ تَنْظُرُ في النَّصْلِ فلا ترى شيئا وتنظر في الرصاف فلا تَرَى شيئا وتتمارى في الفوُق][١١٥]. واعتبرهم أيضا مخالفون مطرودون من الحوض مسودوا الوجوه في وجوههم زيغ المنحرفون الضالون وأوجب على المسلمين قتالهم حتى يرجعوا عن الحق..

الهوامش

١- القصيبي محمد زلط، القرطبي ومنهجه في التفسير، المركز العربي للثقافة والإعلام، بيروت (د.ت) ص٨-٩.

٢- القصيبي، التفاصيل ص١٢-١٨.

٣- ذكر القصيبي : ان المراجع التاريخية تبين انه تتلمذ على يد الإمام المحدث أبو محمد عبد الوهاب بن رواح وكانت وفاة هذا الشيخ في ١٨ ذي القعدة سنة ٦٤٨هـ، ص١٩-٢٠.

٤- القصيبي، ص٢٢.

٥- مدينة أبي الخصيب : مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى. ياقوت الحموي بن عبد الله الرومي ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٦، ج٥، ص٢١٨.

٦- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن العماد، ١٠٨٩هـ/١٦٧٧م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج٥، ص٣٣٥، القصيبي، ص٣٠، الزركلي خير الدين، الاعلام، ط٢، بيروت، ١٩٨٤، ج٥، ص٣٢٢.

٧- القصيبي، ص٣٣، نقلا عن الداودي، طبقات المفسرين.

٨- ابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٣٣٥.

٩- القصيبي، ص٣٣، الزركلي، ج٥، ص٣٢٢.

١٠- القرطبي محمد بن احمد الانصاري، الجامع لأحكام القرآن الكريم، تصحيح احمد عبد العليم البردوني، دار الفكر، بيروت (د.ت)، ج١، ص٢-٣.

١١- القرطبي، ج١، ص٣.

١٢- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، بيروت (د.ت)، ج٣، ص١٢٥-١٣٠.

١٣- محمد حسين الذهبي، ج٣، ص١٢٩-١٣٠.

١٤- القصيبي، ص١٢١، وعن أقوال القدماء من العلماء الاجلاء في التفسير، راجع ص٤١٨ فما بعدها.

١٥- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٢، ص٥٥٧-٥٦٤، التفاصيل، انظر ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج، تلبيس ابليس، منشورات مكتبة التحرير (د.ت) ، ص١٨-١٩، قارن الاشعري علي بن اسماعيل، ت ٣٣٠هـ/٩٤١م، مقالات الإسلاميين، ط٣، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، (د.م)، ١٩٨٥، ص١٥٦ فما بعدها.

البغدادي عبد القادر بن طاهر محمد ت٤٢٩هـ/١٠٣٥م : الفرق بين الفرق تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- مطبعة المدني- القاهرة (د.ت)، الاسقرابيني عماد الدين أبو المظفر ت٤٧١هـ/١٠٧٨م التبصر في الدين - تقديم محمد زاهد بن الحسن الكوثري- مكتبة الخانجي مصر ١٣٧٤/١٩٥٥م، ابن حزم علي بن احمد ت ٥٤٦هـ/١١٥١م - كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل - دار المعرفة للطباعة والنشر (د.ت)، الشهرستاني محمد ابن عبد الكريم بن احمد ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م الملل والنحل تحقيق محمد سيد كيلاني- مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة ١٣٨١/١٩٦١.

١٦- المقدسي احمد بن سهل البلخي ت٣٢٢هـ/٩٣٤م - البدء والتاريخ - باريس، ١٩١٦، ج٥، ص١٣٥.

١٧- علي بن يحيى معمر - الاباضية في موكب التاريخ - القاهرة ١٩٦٤، عمر أبو نصر - الخوارج في الإسلام - بيروت ١٩٥٦، محمد اسماعيل عبد الرزاق - الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري - دار الثقافة - الدار البيضاء (د.ت).

١٨- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص١٦١.

١٩- القرطبي ج٤ ص١٦٠، قارن الاسقرابيني شاهفور بن طاهر بن محمد ت٤٧١هـ- التبصر من الدين، تحق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص٤٦.

٢٠- القرطبي ج٤ ص١٦١. ابن الجوزي - تلبيس ابليس ص١٩.

٢١- القرطبي ج٢٢ ص٥٥٨.

٢٢- القرطبي ج٤ ص١٦١، قارن البغدادي الفرق بين الفرق ص٧٢ ذكر ان فرق الخوارج عشرون فرقة وكذلك الاسقرابيني والاشعري وأبي حزم أو الشهرستاني.

٢٣- القرطبي ج٤ ص١٦١.

٢٤- القرطبي ج٤ ص١٦١، والاباضية يقولون من دان الله بما بلغ اليه من الإسلام وعمل به فهو ناج ما لم يهدم ركنا من الدين او يرتطم في التخطية وليسوا حرورية.

٢٥- القرطبي ج٤ ص١٦١، ابن الجوزي ص١٩.

٢٦- القرطبي ج٤ ص١٦١، ابن الجوزي ص١٩.

٢٧- القرطبي ج٤ ص١٦١، ابن الجوزي ص١٩.

٢٨- القرطبي ج٤ ص١٦١، ابن الجوزي ص١٩ يسميهم المكرمية أتباع مكرم بن عبد الله الصجلي.

٢٩- القرطبي ج٤ ص١٦١، ابن الجوزي ص ٢٠.

٣٠- القرطبي ج٤ ص١٦١، ابن الجوزي ص٢٠.

٣١- القرطبي ج٤ ص١٦١، ابن الجوزي ص٢٠.

٣٢- القرطبي ج٤ ص١٦١، ابن الجوزي ص٢٠.

٣٣- القرطبي ج٤، ص١٦١، ابن الجوزي ص٢٠.

٣٤- القرطبي ج٤، ص١٦١، ابن الجوزي ص٢٠.

٣٥- سورة البقرة آية ١٩٠.

٣٦- القرطبي ج٢ ص٣٥٠.

٣٧- سورة البقرة آية ١٩٥.

٣٨- وهم القاسم بن مخيمرة والقاسم بن محمد وعبد الملك. القرطبي ج٢ ص٣٦٣ ويقول القرطبي وهم من علمائنا.

٣٩- سورة البقرة آية ٢٠٧.

٤٠- القرطبي ج٢ ص٣٦٣.

٤١- سورة آل عمران آية ٧.

٤٢- قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ابو الخطاب السدوسي البصري : مفسر حافظ ضرير اكمه. قال الامام احمد بن حنبل : قتادة احفظ اهل البصرة وكان مع علمه بالحديث رأسا في العربية ومفردات اللغة ومما يؤاخذ عليه انه قد يدس في الحديث، مات بواسط في الطاعون، ابن خلكان ابو القياس شمس الدين ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م، تحق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة (د. ن)، ج٤، ص٨٥-٨٦.

٤٣- القرطبي ج٤ ص١٣.

٤٤- سورة آل عمران الآية ١٠٦و١٠٧.

٤٥- القرطبي ج٤ ص١٦٧.

٤٦- القرطبي ج٤ ص١٦٨.

٤٧- سورة آل عمران الآية ١١٨.

٤٨- القرطبي ج٤ ص١٧٨.

٤٩- هو حدي بن عجلان بن وهب الباهلي أبو امامة كان مع الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في صفين وسكن الشام فتوفى في ارض حمص. وهو آخر من مات من الصحابة بالشام وله في الصحيحين ٢٥٠ حديثا، ابن حجر

العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، القاهرة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، ج٢، ص ١٨٢.

٥٠- القرطبي ج٤ ص١٧٩.

٥١- سورة آل عمران الآية ١٦٩.

٥٢- القرطبي ج٤ ص٢٧١ - التفاصيل نفسه ص٢٧١-٢٧٢.

٥٣- سورة الانفال الآية ٥٨.

٥٤- هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الانصاري الخزرجي صحابي كان من ملازمي النبي ﷺ روى عنه احاديث كثيرة وله ١١٧٠. ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢/١٤٤٨ تهذيب التهذيب - حيدر اياد الدكن ١٣٢٥ هـ ج٣ ص٤٧٩، الزركلي - الاعلام ج٣ ص٨٧.

٥٥-

L.VECCIA VAGLIERI HURKUS B.ZUHAYR AL-SA'DI THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, NEW EDITION, LEIDEN, 1971, VOL. III, PP. 582-83.

وسنشير اليها لاحقا بالمختصر EI^2 .

٥٦- ابن حجر العسقلاني - الاصابة في تمييز الصحابة ، ج١ ص٤٨٥.

٥٧- القرطبي ج٨ ص١٦٦.

٥٨- سورة آل عمران الآية ١١٩.

٥٩- القرطبي ج٤ ص١٨٢، ويعلق المصحح في هامش ٢٥١ قائلا : [الاباضية بريئون من ذلك، وتفسير كلام اله ينزه عن مثل هذا القول.

٦٠- ابن الاثير عز الدين ابي الحسن بن ابي الكرم ت ٦٣٠/١٢٣٢ اسد الغابة في معرفة الصحابة - دار احياء التراث العربي - بيروت (د.ت) ج٤ ص٤١١، ابن حجر العسقلاني الاصابة ج٣ ص٤٥٥، الزركلي - الاعلام ج٧ ص٢٨٢.

٦١- ابو داود سليمان بن الاشعث ت ٢٧٥/٨٨٩ السنن تحقيق محي الدين عبد الحميد - القاهرة (د.ت) كتاب السنة الباب السادس ج٤ ص٤٠٠ القرطبي - الجامع لاحكام القرآن ج١ ص٣٧-٣٨.

٦٢- ابن خلكان شمس الدين احمد، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج١ ص٢١٣-٢١٥، الزركلي الاعلام ج٢ ص٢٧٢.

EI2 AL-KHATTABT , VOL IV , PP. 1131-1132

٦٣- القرطبي ج١ ص٣٨.

٦٤- سورة البقرة، الآية ٣٠.

٦٥- القرطبي ج١ ص ٢٦٨ .

٦٦- سورة البقرة، الآية ١٢٤.

٦٧- القرطبي ج٢ ص ١٠٩ .

٦٨- سورة البقرة، الآية ١٣١.

٦٩- القدرية : الاشعري - مقالات الإسلاميين ج١ ص٢١٦ ؛ البغداد الفرق بين الفرق ص١١٤،

A. R. GIBB, AND J. H. KRAMERS, SHORTER E. NCYCLOPAEDIA OF ISLA 1965, PP. 200-201; EI2 KADARIYA, VOL. IV, PP. 358-372.

٧٠- سورة آل عمران الآية ١٩.

٧١- القرطبي ج٢ ص١٤٣.

٧٢- سورة النساء الآية ١١٦.

٧٣- القرطبي ج٥ ص٣٨٦ .

٧٤- سورة الانعام الآية ١٥٨.

٧٥- القرطبي ج٧ ص١٤٥.

٧٦- القرطبي ج٧ ص١٤٥ ويقول المصحح في حاشية رقم(٥) ان اراد [القرطبي] الاباضية كزعمه فان الرجم عندهم حكم ثابت يوم القيامة لكن من السنة كما صح في مسند الربيع عن ابي الشعثاء جابر بن زيد، لا من القران ولم يزالوا يرجون في اقامتهم، ولا انكروا طلوع الشمس من مغربها ولا خروج الدجال.

٧٧- القرطبي ج٧ ص١٤٥.

٧٨- سورة الاسراء، الآية ٧٩.

٧٩- القرطبي ج١ ص٣١٠ .

٨٠- القرطبي ج١ ص٣١٠ .

٨١- سورة البقرة الآية ١٧٠.

٨٢- الحشوية EI² HASHWIYYA, Vol. III, P. 269.

٨٣- القرطبي ج٢ ص٢١٢.

٨٤- سورة البقرة الآية ١٢٨ .

٨٥- القرطبي ج٢ ص١٦٦ الروآية منسوبة الى ان ابي اديس ت ٢٢٦هـ/٨٤٠م.

٨٦- موطأ الامام مالك، روآية يحيى بن يحيى الليثي، اعداد احمد راتب عرموش، ط ٦، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٢١-٢٢.

٨٧- سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

٨٨- موطأ الامام مالك، ص٥١، القرطبي، ج٣ ص ٨٥.

٨٩- القرطبي، ج٣، ص٨٣، حيث أجمع العلماء على ان الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة لحديث مُعاذة، قالت : سألت عائشة فقلت : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت : أحرورية أنت؟ قلتُ : ليست بحرورية، ولكني أسأل : قالت : يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة.. فاذا انقطع عنها كان طهرها منه الغسل. ويعلق المصحح في هـ(١) ان الحرورية طائفة من الخوارج وكان عندهم من التشديد في الدين ما هو معروف، فلما رأت عائشة هذه المرأة تشدد في أمر الحيض شبهتها بالحرورية وقيل أرادت أنها خالفت السنة وخرجت عن الجماعة.

٩٠- سورة النساء، الآية ٢٤.

٩١- القرطبي، ج٥، ص ١٢٥.

٩٢- يعلق المصحح عن ذلك في هامش (١) بقوله (لا يصح هذا عنهم لأنه رد للنصوص وهو كفر، إن عني الأباضية على عادته في ادماجهم في الخوارج وهم براء. فالقاعدة عندهم سلفا وخلفا .. كل امرأتين لو كانت احدهما ذكرا لا تحل له الأخرى يحرم الجمع بينهما في العصمة.